# تراثنا الفقهى وقضاياه الببليوجرافية

للدكتور : عبد الستار الحلوجي

## مقدمة :

الفقه بمعناه اللغوي هو الفهم (١) وبمعناه الاصطلاحي هو علم استخراج الاحكام الشرعية التي تتعلق بافعال العباد واستنباطها من أدلتها التفصيلية ، فالاسلام لم يهتم بتصحيح عقيدة الانسان وفكرته عن خالقه فحسب ، وانما سعى ايضا الى التوفيق بين أشواق الروح ونوازع الجسد ، فاهتم بالحياة التي يحياها الناس على الارض ووضع الضوابط التي تحكم مختلف صور النشاط الانساني وتنظم علاقة الانسان بخالقه وبالآخرين من بني جنسه ، وهكذا لم تكن الشريعة الاسلامية مجرد خيط الهي يربط الارض بالسماء ، ويشد الانسان الى خالقه وموجده من العدم ، وانما كانت ضوءا كاشفا يصل السماء بالارض ويهدي العقل والقلب ، ويرضي حاجة البدن والنفس .

وثمة حكمة بالغة في نزول القرآن منجما على النبي صلى الله عليه وسلم ، وهي حكمة ندرك بعض أسرارها ولا نحيط بها علما . فالله سبحانه وتعالى قد اختار نبيه صلوات الله وسلامه عليه أميا لايقرأ ولا يكتب ، ومن ثم كان اعتماده على الذاكره . وذاكرة الانسان لاتستطيع أن تستوعب القرآن جملة واحدة « وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة ، كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا » (٢) . والله سبحانه وتعالى أراد لكتابه الكريم أن يكون دستورا دائما للبشرية ، يعالج أمورها ويصلح شؤونها ويحل مشاكلها التي تواجهها على درب الحياة ولم يشأ أن يكون مجموعة أحكام وتعاليم تلقى مجردة لتسجل في الصحف أو تحفظ في الصدور ، ومن ثم كانت تنزل الآية أو الآيات في الموقف الواحد تجيب للناس على استفساراتهم وتضع الحلول العملية لما يعرض لهم في حياتهم من مسائل ومشاكل :

« يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج » (٣)

« يسألونك عن الساعة أيان مرساها ، قل انما علمها عند ربي لايجليها لوقتها الا هو » (٤)

« ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلا » (٥)

« يسألونك ماذا أحل لهم ، قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح » (٦)

« يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه ، قل قتال فيه كبير » (٧)

« يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما أكبر من نفعهما ، ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو » (٨)

« يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول » (٩)

الى آخر هذه الآيات التي تجيب على تساؤلات الناس أيام النبي صلى الله عليه وسلم .

وما دام قد أريد للقرآن الكريم أن يكون دستور البشر وأن يكون خاتم رسالات الله الى الانسانية ، فلقد كان من الطبيعي أن يتناول المبادىء العامة يرسيها

ويقرها في الاذهان وأن يترك التفاصيل لنبيه صلى الله عليه وسلم ، وهكذا كانت السنة المطهرة بمثابة المذكرة التفسيرية لما أجمله القرآن من أحكام وتعاليم ·

وفي حياة النبي صلى الله عليه وسلم كان المسلمون يلتمسون في كتاب الله القوانين والضوابط التي تحكم حياتهم وتنظم أمورها ، فاذا أرادوا تفصيلا أو تفسيرا لجأوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فأبان لهم ماعمي عليهم وأوضح لهم ماأشكل عليهم ·

واذن فقد كان القرآن الكريم وكانت السنة النبوية المطهرة زادا كافيا للمسلمين الاوائل فيما يتصل بأمور دينهم ودنياهم · ومع ذلك فحين بعث النبي صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل الى اليمن سأله : كيف تقضى اذا عرض لك قضاء ؟ قال : أقضى بكتاب الله ، قال: : فان لم تجد في كتاب الله ؟ قال : فبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فان لم تجد في سنة رسول الله ولا في كتاب الله ؟ قال : أجتهد رايي ولا آلو « أي لا أقصر » ، فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره « استحسانا لحديثه » وقال : الحمد لله الذي وفق رسول الله لما يرضى رسول الله (١٠)

ومعنى هذا أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أذن للصحابة أن يجتهدوا فيما لم يرد فيه نص من القرآن والسنة شريطة أن يكون هذا الاجتهاد على هدي من الكتاب والسنة وألا يتعارض معهما ·

وينتقل الرسول صلوات الله وسلامه عليه الى الرفيق الاعلى ، ويمضى جيل الصحابة ومن بعده جيل التابعين ، وتتسع أرجاء الدولة الاسلامية ويفتح المسلمون بلادا لاعهد لهم بها من قبل ، ويواجهون أنماطا جديدة من الحياة ومشاكل لم يكن للمسلمين السابقين بها عهد ، وهنا تظهر الحاجة الى الاجتهاد والقياس ·. وتتمخض هذه الحاجة عن ظهور المذاهب الفقهية الاسلامية في القرن الثاني الهجري ، وهي مذاهب لايختلف بعضها عن بعض في الاصول أو في المصدر الذي تستقى منه وانما تنحصر اختلافاتها في الفروع وفي تقويم الاسس التي يؤخذ بها كاختلافهم في كون المصدر دليلا أو ليس بدليل ، وفي ثبوت الدليل وعدم ثبوته ، وفي ثبوت النسخ وعدمه ، وفي علة القياس وفيما يكون به الترجيح عند تعارض الادلة ، وفي اهدار الادلة عند التعارض ، وكاختلافهم في أنواع الدلالات وسائرطرق الاستفادة ، وتفاوتهم في الاحاطة والفهم وفي ملكة الاستنباط وسلامة الذوق الفقهي وكماله ·

ولقد استمر باب الاجتهاد مفتوحا على مدى قرنين كاملين امتدا من منتصف القرن الثاني الى منتصف القرن الرابع الهجري ، ثم مال الناس الى حظره حين أقدم عليه من ليس أهلا له ، وحين كثر المدعون الذين تصدوا للافتاء فخلطوا بين الامور وأوقعوا الناس في حيرة وريبة · ولكن اغلاق باب الاجتهاد في تلك الفترة المبكرة لم يمنع من ظهور بعض المجتهدين بعد ذلك كالسبكي والعز بن عبد السلام وابن تيمية وابن حزم ·

## تراثنا الفقهي :

واذا كان عصر المذاهب الفقهية الذي امتد من منتصف القرن الثاني الى منتصف القرن الرابع قد شهد أمهات المؤلفات في مختلف المذاهب ، فان الشروح والحواشي والتعليقات التي عملت على تلك الاصول لم تنقطع فيما تلاه من عصور ، ولم تتوقف كتابات المجتهدين المتأخرين سواء حملت آراءهم في مسائل قديمة أو آراءهم فيما استحدث من أمور وكانت نتيجة ذلك حصيلة ضخمة من التراث الفقهي في كل مذهب من المذاهب ·

ولقد دأب كل فريق على الترجمة لرجال المذهب وأعلامه فظهرت كتب ضخام في تراجم الشافعية والمالكية والاحناف والحنابلة والشيعة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر : « الطبقات السنية في تراجم الحنفية » لتقي الدين الغزي ( المتوفي سنة ١٠١٠ هـ ) و « طبقات الشافعية الكبرى » لتاج الدين السبكي « المتوفي سنة ٧٧١ » و ( الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب ) « المالكي » لابن فرحون اليعمري « المتوفي سنة ٧٩٩ » و « طبقات الحنابلة » لابن أبي يعلي ( المتوفي سنة ٥٢٦ ) وذيله لابن رجب ( المتوفي سنة ٧٩٥ ) و « طبقات أعلام الشيعة » لآغا بزرك الطهراني « المتوفي سنة ١٣٩٠ هـ » ·

والى جانب المؤلفات الفقهية وكتب التراجم لاتباع كل مذهب ظهرت المؤلفات في علم أصول الفقه ، وهو العلم الذي يبحث في القواعد التي يتوصل بها الى استنباط الاحكام الفرعية من أدلتها الاجمالية اليقينية ·

ولقد كانت المباحث الاصولية أول أمرها متناثرة في كتب الفقه مختلطة به ، ثم لم تلبث أن استقلت بنفسها منذ أملى الامام محمد بن ادريس الشافعي « المتوفي سنة ٢٠٤ هـ » « الرسالة » التي أرسى بها دعائم علم الاصول فتحدث فيها عن الناسخ

والمنسوخ وعن الاجماع والاجتهاد والقياس والاستحسان وغير ذلك من الموضوعات التي يتناولها الاصوليون بالبحث والدراسة · ومن بعده تتابعت التصانيف في هذا العلم ·

وفي كتابه « الفهرست » يخصص ابن النديم المقالة السادسة من مقالاته العشر للفقه والفقهاء فيذكر فقهاء كل مذهب ومؤلفاتهم حتى سنة ٣٧٧ هـ وهي السنة التي انتهى فيها من تأليف الكتب ، ويخصص طاشكبري زاده الدوحة السادسة من كتابه « مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم » للعلوم الشرعية ، وفي هذه الدوحة تختص الشعبة السادسة بعلم أصول الفقه وفيها يترجم المؤلف للاصوليين ويذكر مؤلفاتهم حتى تاريخ تأليف الكتاب وهو سنة ٩٤٨ هـ وهو لايزعم لنفسه الاستيفاء والحصر ، وانما يختم حديثه بقوله : « واعلم أن الكتب في علم الاصول كثيرة لكن من ظفر بما ذكرناه فاز بالمرام ، ولا نطول بذكرها الكلام » (١١) أما الشعبة السابعة فقد خصصها طاشكبري زاده للفقه ، وفيها يذكر الفقهاء على اختلاف مذاهبهم ويحصى مؤلفاتهم ثم يعتذر عمن أغفله منهم فيقول : « ولعمري لقد طال هذا الباب من هذا الكتاب » ، فخرجنا من باب الى باب ، وولجنا في أبواب ، ولقد جرني اليه شغفي بتتبع أحوال العلماء من ناصري الملة الحنيفية البيضاء · ومع هذا فقد فاتني ذكر كثير من الاسلاف ·· » (١٢)

وليس فهرست ابن النديم ومفتاح السعادة هما المرجعان الوحيدان اللذان يحصيان تراثنا الفقهي ، فهنالك كتب أخرى كثيرة بعضها أضخم واشمل ك « كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون » لحاجي خليفة ( المتوفي سنة ١٠٦٧ هـ ) و « ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون » و « هدية العارفين ، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين » وكلاهما لاسماعيل البغدادي « المتوفي سنة ١٩٢٠ م » ، والترتيب في الكتابين الاولين هجائي بعناوين الكتب ، وفي الكتاب الاخير هجائي بأسماء مؤلفيها بصرف النظر عن موضوعاتها · وهناك كتب أخرى أصغر حجما واضيق مجالا ك « فهرست كتب الشيعة » لأبي جعفر الطوسى ( المتوفي سنة ٤٦٠ هـ ) وهو مرتب هجائيا بأسماء المؤلفين · وفي هذه الكتب وأمثالها تناثرت المؤلفات الفقهية مرة حسب عناوينها ومرة تحت أسماء مؤلفيها ، ومن أجل هذا يبقى لكتاب ابن النديم وكتاب طاشكبري زاده أهميتهما من حيث ترتيبهما الموضوعي الذي يتيح جمع المؤلفات الفقهية في موضع واحد على مابين الرجلين من خلاف في المذهب فأولهما شيعي والآخر سني حنفي ·

ولكن هذه الكتب التي ذكرناها – على مابينها من تباين في طرق التنظيم – تحصي المؤلفات لا المخطوطات والفرق بين اللفظين كبير ، ذلك أن أعدادا هائلة من كتب تراثنا قد فقدت ، بعضها ذهب ضحية الفتن الداخلية التي عصفت بالعالم الاسلامي على مدى تاريخه الطويل سياسية كانت أو دينية ، واكثرها التهمته الغزوات الخارجية التي دهمت هذا العالم الاسلامي من الشرق والغرب كالذي حدث أيام المغول والصليبيين ، ومن أجل هذا اتسعت المسافة بين ماألف في موضوع من الموضوعات وبين ماهو موجود بالفعل · ولم يعد للاعمال الببليوجرافية السابق ذكرها غير قيمها التاريخية وخاصة بالنسبة لتاريخ العلوم عند المسلمين ·· ومن ثم ظهرت الحاجة ملحة الى أعمال ببليوجرافية من نوع جديد يكون اكثر نفعا للباحثين · أعمال لاتحصى المؤلفات وانما تحصى ماتبقى من مخطوطات تراثنا وتعرف بها وبأماكن وجودها ·

والمشكلة الخطيرة التي تواجهها هذه الاعمال الجديدة هي أن أعدادا هائلة من المخطوطات مازالت مجهولة ، بعضها لدى الافراد ، وبعضها في الزوايا والمساجد والاوقاف ، وبعضها لدى مكتبات لم تستطع بعد أن تحصر مقتنياتها أو تفهرسها أو تعرف بها · ومن الامثلة الصارخة على ذلك مكتبات تركيا التي نقلت اليها كنوز التراث الاسلامي من مختلف الدول الاسلامية التي كانت تابعة للخلافة العثمانية ، ثم عدل الاتراك عن لغة القرآن حديثا وكتابة ، وبعدت الشقة بينهم وبين ماتضمه مكتباتهم في جوفها من تراث اسلامي محفوظ باللغة العربية · وكانت النتيجة أن تحولت تلك المخطوطات عندهم الى مايشبه قطع الآثار في المتاحف ، والذي يعنينا الآن هو مايتصل بالفقه ، وما اكثر مخطوطات فقه السنة في المكتبات التركية ·

وتعتبر اليمن مركز الثقل بالنسبة للفقه الزيدي الى جانب تراثها في الفقه الشافعي ، ولكن مكتبات اليمن – سواء كانت مكتبات الدولة أو مكتبات أفراد – في أحسن حالاتها تحتفظ بمخطوطاتها في أحشائها دون أن يعرف أحد عنها شيئا ودون أن يبذل أي جهد في التعريف بها والاعلام عنها ·

وفي العراق وايران ينتشر مذهب الشيعة الاثنا عشرية ، وفي كل من الدولتين قدر عظيم من التراث الفقهي لهذا المذهب الذي تعتبر النجف مركز الدائرة بالنسبة له ، ومع ذلك فحتى الآن لا توجد فهارس تسجل هذا التراث وتحصيه ، ومن هنا كانت صعوبة الاعمال الببليوجرافية التي تطمح الى تغطية شاملة لما بقي من التراث الاسلامي المخطوط ·

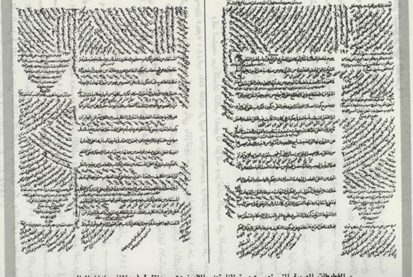

« المخطوطات العربية التي تعبر عن تراثنا تعد بالملايين وهي منتشرة في مختلف بلدان العالم »

### الاعمال الببليوجرافية المعاصرة :

واول من تصدى لهذه المهمة رجل الماني هو كارل بروكلمان ( المتوفي سنة ١٩٥٦ م ) الذي أنفق من عمره اكثر من خمسين عاما في جمع مادة كتابه ( تاريخ الادب العربي ) Geschichte der Arabishen Literatur وكلمة الادب هنا لاتستعمل بمدلولها الاصطلاحي الذي يقتصر على الجيد من الشعر والنثر وانما يتسع معناها ليستوعب كل ماأنتجه الفكر الانساني في مختلف فروع المعرفة وميادين الحياة ، فقد أراد بروكلمان أن يؤرخ للحياة العقلية العربية من خلال حصر المخطوطات العربية في العالم ، واعتمد في جمع مادة كتابه على مانشر من فهارس لتلك المخطوطات في شتى أرجاء المعمورة ، فقدم لنا حصرا بكل المخطوطات العربية التي احصتها الفهارس المطبوعة بحيث تتجمع النسخ المتعددة للكتاب الواحد في موضع واحد مهما تباعدت أماكن وجودها .

وقد استبعد بروكلمان الكتب المجهولة المؤلف ومؤلفات العرب غير المسلمين من مسيحيين ويهود ، ورتب مادة كتابه ترتيبا زمنيا بالعصور والدول ، وتحت كل عصر يذكر الموضوعات ، وتحت كل منها يأتي بالمؤلفين مرتبين زمنيا فيذكر نبذة عن حياة كل منهم يتبعها بذكر المصادر التي ترجمت له ، ثم يحصى أعماله الباقية والمكتبات التي توجد بها وأرقامها في تلك المكتبات أو في فهارسها ، وقد يذكر طبعاتها الاساسية وما عمل حولها من تعليقات أو تراجم أو شروح أو نقد أو اختصار .

وبعد أن نشر بروكلمان كتابه في مجلدين كبيرين صدرا في عامي ١٨٩٨ ، ١٩٠٢ م تجمعت لديه مادة غزيرة نشرها في ملحقين مرتبين على غرار الاصل صدر أولهما سنة ١٩٣٧ م وثانيهما سنة ١٩٣٨ م ثم نشر ملحقا ثالثا سنة ١٩٤٢ تناول فيه الادب العربي الحديث وضمنه كشافات الكتاب وملاحقه ، وقد أعيد طبع الجزءين الاصليين سنة ١٩٤٣ ، ١٩٤٩ م . وشرعت الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية في ترجمة الكتاب الى اللغة العربية فعهدت به الى الدكتور عبد الحليم النجار وصدرت من الترجمة العربية ثلاثة أجزاء فيما بين سنة ١٩٥٩ وسنة ١٩٦٢ م ثم توفي المترجم فتوقف العمل في المشروع حتى استأنفه الدكتور سيد يعوب بكر والدكتور رمضان عبد التواب فأصدرا منه المجلدين الرابع والخامس في سنة ١٩٧٥ .

ولعل أخطر مايعاب على كتاب بروكلمان هذا أنه اعتمد على الفهارس المنشورة للمكتبات فأهمل كل ما لم يسجل في تلك الفهارس وهو يمثل نسبة كبيرة جدا من تراثنا ، فضلا عن أنه وقع في كل ماوقعت فيه تلك الفهارس من أخطاء أو نقص في الاسماء أو التواريخ أو البيانات ·

ومن بعد بروكلمان جاء فؤاد سزجين ( وهو تركي ألماني مسلم ) وأراد أن يصدر ملحقا يكمل به النقص الموجود في كتاب بروكلمان فيما يختص بالمخطوطات العربية الموجودة في استانبول ، ولكنه لم يلبث أن عدل عن خطته الى عمل أشمل ، « عمل جديد مستقل عن كتاب بروكلمان » ، كما يقول في مقدمته ، عمل يتلافى به أوجه القصور التي تكشفت في عمل بروكلمان وأهمها أن الاعتماد على الفهارس المطبوعة لم يعد كافيا لأن مالم تذكره الفهارس أكثر بكثير مما ذكرته ، ولهذا حرص سزجين على زيارة المكتبات ومعاينة المخطوطات بنفسه على الطبيعة قبل أن يسجلها في كتابه ، وقد أتاحت له هذه المعاينة أن يضيف معلومتين جديدتين عن كل مخطوط لم يكن يذكرهما بروكلمان وهما : تاريخ نسخ المخطوط ، وحجمه أو عدد أوراقه وأجزائه ·

ولكن التزام سزجين برؤية المخطوطات اضطره الى أن يحدد المجال الزمني لكتابه ، فليس في امكان فرد واحد أن يتصدى لمثل هذا العمل بنفس القدر الذي أخذ به بروكلمان نفسه من الاتساع والشمول ، ولذا حدد بداية الفترة التي يغطيها كتابه بنشأة العلوم في العصر الاموي ، ونهايتها بسنة ٤٣٠ هـ / ١٠٣٨ م التي تمثل نهاية العصر الذهبي للثقافة العربية ·

وثمة نقطة ضعف أخرى تكشف في كتاب بروكلمان وعمل سزجين على تلافيها وهي الترتيب الزمني الذي يوزع الموضوع الواحد على مختلف العصور · ولم يخف على سزجين أن الوحدة الموضوعية أهم وأن الترتيب الموضوعي هو الانسب والانفع للباحثين ، فرتب كتابه الذي أطلق عليه « تاريخ التراث العربي » Geschichte des Arabischen Schrifttums على حسب الموضوعات ، فاختص الجزء الاول منه بعلوم القرآن والحديث والتاريخ والفقه والتوحيد والتصوف ، والثاني بعلوم اللغة والادب شعرا ونثرا ، والثالث بالترجمة والفلسفة والعلوم الطبيعية ، والرابع بالكيمياء والنبات والزراعة ·· الخ · وحرص المؤلف على أن يقدم لكل موضوع بمقدمة تعرف به وتحدد أبعاده ، ثم يذكر المؤلفين الذين ألفوا فيه والمصادر التي ترجمت لهم ومؤلفاتهم المخطوطة وأماكن وجود كل منها ·

ولقد صدر الجزء الاول من هذا الكتاب سنة ١٩٦٧ م وما زالت الاجزاء التالية تصدر تباعا ، وادراكا لقيمة هذا العمل وشموله تصدى الدكتور فهمي أبو الفضل لترجمته الى العربية ، وصدر الجزء الاول من تلك الترجمة سنة ١٩٧١ م وهو مجلد ضخم لايغطي الا ثلث المجلد الاول من الاصل الالماني ويضم :

١ ــ مكتبات المخطوطات العربية .

٢ ــ المراجع العامة .

٣ ــ علوم القرآن .

٤ ــ علم الحديث .

ثم توفي المترجم تاركا المسئولية تبحث عمن ينهض بها .

وهكذا لم تكتمل ترجمة كتاب سزجين كما لم تكتمل ترجمة كتاب بروكلمان من قبل ، وليس خافيا أن اللغة الالمانية التي الف بها الكتابان ليست واسعة الانتشار في العالم الاسلامي ، وهذا يجعل الاستفادة من الكتابين محدودة ويفرض على المسلمين أن يسارعوا الى استكمال ماترجم منهما حتى يعم النفع بهما .

## قصور الادوات الببليوجرافية :

واذا كان كتاب سزجين أشمل وأكثر استيعابا من كتاب بروكلمان بالنسبة للفترة التي يغطيها ، فان الحاجة الى كتاب بروكلمان تظل ضرورية لاغنى عنها بالنسبة لمخطوطات مابعد سنة ٤٣٠ هـ ، أي أن مايقرب من الف عام من التراث المخطوط مازال خارجا عن نطاق كتاب سزجين ، وليس أمام الباحث عنه الا كتاب بروكلمان رغم مافيه من نقص وقصور .

وهكذا يظل هذان العملان أعظم عملين ببليوجرافيين يخدمان تراثنا العربي بعامة والاسلامي بخاصة . ومن واجب المسلمين أن يهتموا بمثل هذه الاعمال

الببليوجرافية التي تعرف بتراثهم وتساعد الباحثين على الاهتدام الى مكانه وتضع بين أيديهم ماكتبه السلف في موضوعات تخصصهم .

وتلك قضية على جانب كبير من الاهمية لما لها من أثر على تقدم البحث العلمي عندنا ، فالباحث في الدول الغربية يتعرف على مصادر بحثه وعلى ماكتبه السلف في موضوعات تخصصهم ·

وتلك قضية على جانب كبير من الاهمية لما لها من أثر على تقدم البحث العلمي عندنا ، فالباحث في الدول الغربية يتعرف على مصادر بحثه وعلى ماكتب في موضوعه في أسرع وقت وبأقل جهد ، أما عندنا فالباحث مضيع لأنه ينفق جزءا كبيرا من وقته في الوصول الى مادة البحث دون أن يجد هاديا يهديه أو أدوات ببليوجرافية كافية لارشاده وتقديم العون له ·

وفي مجال الفقه الاسلامي ـ مثلا ـ مازلنا نفتقر الى عمل ببليوجرافي يحصى المؤلفات الفقهية في كل مذهب من المذاهب منذ ظهوره على مسرح الحياة حتى الأن ، بل اننا نفتقر الى اعادة نشر أمهات الكتب الفقهية نشرا حديثا يتيح للباحثين الوصول الى مايريدون منها بسهولة ويسر ، ففي كل باب من أبواب الفقه تتشعب المسائل وتتداخل وتتعدد المباحث وتتعقد بحيث يجد الباحث مشقة وعسرا في الوصول الى مايريد وخاصة اذا كان يبحث عن مسألة فرعية دقيقة يمكن أن تتوه وسط أكوام المباحث الفقهية في بابها · ولهذا تحتاج كتب الفقه أكثر من غيرها الى تحليل محتوياتها تحليلا دقيقا ونشرها من جديد مزودة بمختلف أنواع الكشافات التي تتضافر معا في تيسير مهمة البحث فيها والوصول الى المطلوب منها من أقصر طريق ·

ونفتقر كذلك الى دليل للدوريات الاسلامية التي تصدر في مختلف الدول وبمختلف اللغات ، والى كشاف تحليلي بالمواد التي تنشر في الدوريات التي تصدر بلغات شرقية بحيث تتجمع الكتابات في الموضوع الواحد في موضع واحد على غرار مافعله بيرسون J. D. Pearson في الكشاف الاسلامي Index Islamicus الذي حلل فيه محتويات أكثر من خمسمائة دورية أوربية تهتم بالدراسات الاسلامية منذ سنة ١٩٠٦ م حتى الآن · ونحتاج بعد ذلك الى دليل عام للفقهاء المسلمين على غرار Who's Who الذي تصدر منه مجلدات يختص كل منها بأعلام فرع معين من فروع المعرفة كالفن والموسيقى والصحافة والهندسة والذرة · صحيح أن لدينا كتبا كثيرة في اللغة العربية تترجم لأتباع كل مذهب على حدة ، ولكن هذه الكتب للمختصين فقط · والذي نحتاجه هو دليل عام يعرف بأشهر الفقهاء في المذاهب جميعها ، مرتبين هجائيا بحيث يسهل على المسلم أن يصل الى بغيته في التعرف على

ترجمة أي علم من أعلام الفقه ، وحبذا لو نشر هذا الدليل باللغتين العربية والانجليزية ليفيد منه الباحثون عن تراجم الفقهاء المسلمين من أرباب اللغات الاجنبية ويكون هذا المعجم خطوة على الطريق لاصدار معجم شامل لاعلام الاسلام Who's Who in Islam

لقد بذل المستشرقون في مجال الاعمال الببليوجرافية التي تخدم الدراسات الاسلامية جهودا طيبة تستحق الثناء رغم مافي بعضها من قصور ، وهي أعمال كثيرة أحصى الاستاذ أحمد عبد الحليم ماصدر منها حتى سنة ١٩٦١ م في بحثه الذي قدمه لمعهد المكتبات بجامعة لندن بعنوان « قائمة ببليوجرافية بالببليوجرافيات التي عملت عن الاسلام » Bibliography of Bibliographies of Islam

ولقد آن الاوان لأن ينهض علماء المسلمين بمسئولياتهم وأن يهتموا بالأعمال الببليوجرافية باعتبارها أدوات لاغنى عنها للبحث في أي مجال من مجالات الدراسة ٠

وعلى مائدة مؤتمر الفقه الاسلامي الذي ينعقد في عاصمة المملكة وفي رحاب جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية تبرز عدة تساؤلات تطرح نفسها على هذا الجمع الموقر من علماء المسلمين :

أما آن الأوان لأن يتعاون علماء المسلمين في اصدار موسوعة اسلامية بدلا من القناعة بترجمة موسوعة ألفها المستشرقون أساسا للدراسين الغربيين ؟ ألا يجدر بمراكز البحث والدراسات الاسلامية أن تهتم باصدار دليل عام لفقهاء المسلمين ؟ ألا ينبغي أن نسارع الى استكمال ترجمة كتابي بروكلمان وسزجين ؟ أليس من المؤسف أننا مجتمعين لم نفعل مافعله أفراد ككارل بروكلمان وفؤاد سزجين وجيمس برسون ؟

انني أنتهز فرصة التقاء هذه الصفوة من فقهاء المسلمين فأهيب بها أن تسعى بكل طاقاتها الى استكمال النقص الخطير في أدوات البحث الاسلامي ، وانه لعجيب حقا أن يكون النقص الذي يعانيه الباحث الاسلامي عندنا في الشرق أكبر بكثير من ذلك الذي يعانيه زميله في الغرب مع أن المصادر الاصلية عندنا والتراث الذي خلفه لنا أسلافنا في هذه الموضوعات أغنى ألف مرة ومرة مما عند غيرنا من فتات ٠

**د٠ عبد الستار الحلوجي**

## الهوامش

(١) وبهذا المعنى ورد اللفظ في قوله تعالى « ليتفقهوا في الدين » أي ليكونوا علماء به ٠ ودعا النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس بأن يعلمه الله الدين ويفقهه في التاويل ، أي أن يفهمه تأويله ومعناه ٠ يقول ابن منظور في « لسان العرب » : وغلب ( الفقه ) على علم الدين لسيادته وفضله على سائر أنواع العلم ٠

(٢) سورة الفرقان ، آية ٣٢

(٣) سورة البقرة ، آية ١٨٩

(٤) صورة الاعراف ، آية ١٨٧

(٥) سورة الاسراء ، آية ٨٥

(٦) سورة المائدة ، آية ٤

(٧) سورة البقرة ، آية ٢١٧

(٨) سورة البقرة ، آية ٢١٩

(٩) سورة الانفال ، آية ١

(١٠) سنن أبي داود ٣ : ٤١٢

(١١) مفتاح السعادة ، حـ ٢ ، ص ١٩٣ ( طبعة دار الكتب الحديثة ، ١٩٦٨ بتحقيق كامل بكري ، وعبد الوهاب أبو النور ) ٠

(١٢) مفتاح السعادة ، حـ ٢ ، ص ٣٦٨